

روح المعاني

الدنيا وهى راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرق الله تعالى عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له وجوز أن يقدر الجزاء من جنس الخسران فيقال : من كان يريد ثواب الدنيا فقط فقد حسر وهلك فعند الله تعالى ثواب الدنيا والآخرة له إن أراد به وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أول اناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : جردت فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال : عالم وقرأت ليقال : هو قارء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله تعالى عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار وقيل : إنه الجزاء إلا أنه مؤل بما يجعله مرتبا على الشرط لأن ما له أنه ملوم موبخ لتركه الأهم الأعلى الجامع لما أراد مع زيادة لكن من يشترط العائد فى الجزاء يقدره كما أشرنا اليه وقيل : المراد أنه تعالى عنده ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريد كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا .

134 .

- تذييل لمعنى التوبخ أى كيف يرائى المرأى وأن الله تعالى سميع بما يهجس فى خاطره وما تأمر به دواعيه بصير بأحواله كلها ظاهرها وباطنها فيجازيه على ذلك وقد يقال : ذيل بذلك لأن إرادة الثواب إما بالدعاء وإما بالسعى والأول مسموع والثانى مبصر وقيل : السمع والبصر عبارتان عن اطلاعه تعالى على غرض المرید للدنيا أو الآخرة وهو عبارة عن الجزاء ولا يخفى أنه كان لا يخلوا عن حسن إلا أنه يوهم إرجاع صفة السمع والبصر إلى العلم وهو خلاف المقرر فى الكلام بأبيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط أى مواظبين على العدل فى جميع الأمور مجتهدين فى ذلك كل الاجتهاد لا يصرفكم عنه صارف .

وعن الراغب أنه سبحانه نبه بلفظ القوامين على أن مراعاة العدالة مرة أو مرتين لا تكفى بل يجب أن تكون على الدوام فالأمور الدينية لا اعتبار بها ملم تكن مستمرة دائمة ومن عدل مرة أو مرتين لا يكون فى الحقيقة عادلا أى لا ينبغى أن يطلق فيه ذلك شهداء بالحق .

تقيموا شهادتكم لوجه الله تعالى للغرض دنيوى وانتصاب شهداء على أنه خبر ثان لكونوا ولا يخفى ما فى تقديم الخبر الأول من الحسن .

وجز أن يكون على أنه حال من الضمير المستكن فيه وأيد بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى معنى الآية : أى كونوا قوالين باحق فى الشهادة على من كانت ولمن كانت من قريب وبعيد وقيل : إنه صفة قوامين وقيل : إنه خبر كونوا وقوامين حال ولو على أنفسكم أى ولو كانت الشهادة على أنفسكم وفسرت الشهادة ببيان الحق مجازا فتشمل الاقرار المراد هنا والشهادة بالمعنى الحقيقى المراد فيما بعد فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقيل : الكلام خارج مخرج المبالغة وليس المقصود حقيقته فلا حاجة إلى القول بعموم المجاز ليشمل الاقرار حيث أن شهادة المرء على نفسه لم تعهد والجار على ما أشير إليه